

التجددية مقابل الوحدة الثقافية: الانسجام الذي يميز المغرب

بقلم يوسف بن مير وكاتي روماني

مبادرة دار الحياة خطوة إبداعية تهتم بالإنماء الزراعي ولكن صداها يتجاوز ذلك إلى الفعاليات العالمية.

تكمّن خصوصية البرنامج في كونه يعالج التفاعل بين الثقافات. وتقوم مبادرة "الهاوس أوف لايف" (دار الحياة) بتوجيه وترتيب إعارة قطع الأرض المجاورة لموقع الدفن اليهودية مجانيا من أجل إنشاء مشاتل الأشجار والنباتات الطبية العضوية لكي تستفيد منها أوساط المزارعين المسلمين بالمناطق المجاورة.



المبني الآيل للسقوط والذي يضم مقبرة القديس اليهودي سيد أهaron. ويضم أحد البقاعتين التي يشكل موقعها منطقة الزراعة. سيتم بناء دفيئة زراعية على كل قطعة حتى تنسى زراعة البنور على مدار العام (2020).

يطمح البرنامج إلى إنشاء مشتل ثالث في مدينة دمنات المتموّقة غرب الأطلس الكبير، ثم إلى استعمال أصناف البذور المحلية المنتشرة بالمنطقة، وزراعتها في البقع المجاورة لمقبرة القديس اليهودي سيد أهaron التي تعود إلى قرون.

وبالنظر إلى الحاجة للتنمية البشرية في المغرب وباعتبار تاريخه الثقافي، يمكن تكرار النموذج الذي تم إنشاؤه على هذا النحو في جميع أنحاء شمال إفريقيا والشرق الأوسط وحتى خارجها.

عبارة بيت الحياة، الاسم التقليدي للمقبرة اليهودية، ساهمت بشكل خاص في جعل يونس البناوي، الوالي السابق لإقليم الحوز، يستخدم هذا التعبير في وصف المشروع الذي تشرف عليه مؤسسة الأطلس الكبير في المملكة المغربية.

نشأة فكرة

صدر المشروع التجاري لبرنامج بيت الحياة سنة 2012 في قرية أكريش، إقليم الحوز، أحد المناطق القروية خارج مراكش. وتم إنشاء المشتل الذي يشرف عليه سكان محليون، تحت تأطير مؤسسة الأطلس الكبير، على أرض مuarة من المجتمع اليهودي بجهة مراكش-آسفي. يقع المشتل بجوار قبر الحاخام رافائيل هكوهين الذي يعود لـ 700 عام، وهو من موقع دفن اليهود الأكثر من 600 المنتشرة في مناطق قروية وحضرية عبر أنحاء المملكة.



مشتل الأشجار المثمرة في قرية أكريش بإقليم الحوز، على أرض أعارتها الجالية اليهودية المغربية بالقرب من مكان دفن القديس رفائيل هكوهين (2019). وينحدر حراس مشتال مؤسسة الأطلس الكبير الذين يعملون في المشروع من المجتمع المحلي.

في سنة 2015، ترأس الوالي يونس البثاوي مع السيد دوايت بوش، سفير الولايات المتحدة لدى المملكة المغربية حينها، حفلأً أشرف فيه على عرس 30 ألف بذرة وشلتة فيما وضعت 30 ألف شجرة مختلفة عمرها ستان - أشجار الزيتون، وأشجار التين، وأشجار الرمان، وأشجار الليمون - جانباً وأتيحت للتوزيع على الفلاحين المحليين. وفي الوقت نفسه أعلن الوالي يونس عن اقتراح تعليمي هذا البرنامج ليشمل المملكة بأكملها.

وخلال الوقت الذي يلزم لإكمال بناء المشتل الثاني في مقبرة الحاخام دافيد أو موكي بنواحي ورززات، سيتطور هيكله بسرعة ليصبح علماً بارزاً في المنطقة. تزرع البذور الأولى في منتصف شهر أكتوبر في فترة تزامن عيد القديس هيلولا (ذكرى وفاته منذ حوالي 1000 عام). ويصادف الأمر أيضاً الذكرى العشرين لتأسيس مؤسسة الأطلس الكبير.



موقع المشتل الجديد للأشجار المثمرة مساحته هكتار واحد ممتد على سفح الجبل فوق قبر القديس اليهودي ديفيد أو موكي. تشرف على تمويل هذا المشروع الجماعي المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في المغرب (2020).

من شأن هذه المساحة أن تصبح أرضاً خصبة بها موطن لأكثر من مليون بذرة، بما في ذلك أنواع مختلفة من اللوز وحبوب الخروب والكرز والتين والرمان والجوز. وخلال سنوات ثلاثة، سيتم التبرع بغالبية هذه الشتلات لحوالي 5000 أسرة فلاحية محلية و 2000 مدرسة حكومية، مع تخصيص ما تبقى لمكافحة ظاهرة التأكل التي تهدد المنطقة. تواصل مؤسسة الأطلس الكبير عملها على هذا الموضع وعلى موقع آخر من أجل "زرع" الوعي حول قضايا البيئة والمجتمع والتاريخ في مستقبل أجيال المغرب.

وتعمل المؤسسة حالياً مع شركائها من المجتمع المحلي لبناء مشتل دار الحياة الثالث في دمنات، عملياً ستتوفر 100000 من أشجار الجوز واللوز والخروب، وهي أنواع تشتد حاجة الأسر الفلاحية إليها في إقليم أزيلال، هكذا يمكن إنتاجها على طول العام.

ساهم برنامج من فلاح إلى فلاح، الذي أطلقته الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، وشجع خبراء فلاحين مغاربة على النطوع بوقتهم جنباً إلى جنب مع المتطوعين الأمريكيين للعمل معًا على تقييم وتصميم مشتال الأشجار المثمرة العضوية، تعاون في إطار تلاulum فيه الأديان وتعمل جنباً إلى جنب.

وما كان لأي من مبادرات التنمية هذه - أو للفوائد المنشودة التي تعود بها على المجتمع المحلي - أن ترى النور لو لا الدعم الكرييم من جلالة الملك محمد السادس وتوجيه الحكومة المغربية، والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية من أهم أوجه هذا الدعم. وظل تواصل رعايتهم لمشاريع ثقافية مشتركة، بما في ذلك برامج ترميم وحفظ المواقع التاريخية والمقبرة، يميز بلد المغرب عن بلدان أخرى، وعن المجتمع الدولي ككل.

النموذج المغربي

تمثل نسبة المغاربة الذين يعيشون في المناطق القروية 43% من سكان البلاد البالغ عددهم 32 مليون نسمة، و 75% من الأسر القروية تكسب أقل من متوسط الدخل الوطني. يعتمد الفلاحون حالياً بشكل رئيسي على الشعير والذرة كمصدر للدخل؛ ومع أن هذه المواد الغذائية الأساسية تزرع في أكثر من 70% من الأراضي الفلاحية، فإنها لا تمثل سوى 10 إلى 15% من الإيرادات الزراعية بناء على بيانات وكالة التنمية الفلاحية المغربية. لذلك يفضل الفلاحون التركيز على زراعة المحاصيل المدرة للأرباح، خاصة الأشجار والنباتات المثمرة، من أجل تحصيل دخل أكبر.

تم وضع تدابير شاملة تضم جميع مراحل الإنتاج، انطلاقاً من الحقل الفلاحي وصولاً إلى المائدة، ليتم وبالتالي سد الثغرات الموجودة في نظام إدارة مشاريع الزراعة العضوية. إجراءات تشمل إصدار شهادات المنتجات العضوية، ووضع أسعار تتناسب مع مبدأ التجارة النزيهة والأسواق الموسعة - ووطنياً ودولياً - وتتضمن استفادة الفلاحين والمجتمعات المحلية حتى يتمكنوا من إعادة الاستثمار في مشاريع أخرى.

يجمع المغرب عدداً كبيراً من الثقافات، نجد من بينها الطائفة اليهودية المتواجدة في المنطقة منذ ألفي عام مضت والتي تحظى بتراث عماري مهم. وقد حافظت المملكة على التزامها بالاحتفال بهذا الاختلاف الغني والمتناقض انسجاماً فسيفساء من خلال تشجيع مبادرات الحفاظ على التراث الثقافي كجزء من مشاريع التنمية البشرية الحيوية.

من وجهة نظر الجانب المغربي، فإن تركيز مؤسسة الأطلس الكبير على التنمية المستدامة ما هو إلا انعكاس لرؤى المملكة بنفسها، رؤية تحقق من خلالها العديد من الأهداف. هذا ملخص مشروع دار الحياة، مبادرة تربط بين عائلات الفلاحنة المسلمة في المغرب وبين نظيراتها من الطوائف اليهودية.

تعتمد مؤسسة الأطلس الكبير نهجاً تشاركيًّا لتمكين المجتمعات المغربية المهمشة، وخاصة القروية منها، من تحديد أهم حاجياتها ومن أجل تسهيل عمل المشاريع ونجاحها.

الدكتور يوسف بن مير، رئيس مؤسسة الأطلس الكبير في المغرب. كاتي روماني فاعلة في مجال التفاهم بين الثقافات والتاريخ اليهودي.